٤ـ التشبيه الضمني:

وهو (**تشبيهٌ لا يُوضَعُ فيه المُشَبَّه والمُشَبَّه به في صورةٍ من صورِ التشبيه المعروفة، بل إنّ المُشَبَّه والمُشَبَّه به يُلمحانِ في التركيب، ويُفهَمُ التشبيهُ من المعنى، ومن سياقِ الكلام**)، فالفرق بينه وبين التشبيه الصريح أنَّ التشبيه **الصريح** يوضع فيه (المُشَبَّه والمُشَبَّه به) في إحدى صور التشبيه المعروفة التي درسناها، نحو: (**محمدٌ كالأسدِ في الشجاعةِ**)، فالمُشَبَّه (**محمد**)، والمُشَبَّه به (**الأسد**)، وأداة التشبيه (**الكاف**)، ووجه الشبه (**الشجاعة**)، فأركان التشبيه كلها موجودة ومصرح بها، أما التشبيه **الضمني**، **فإنَّ** أركانَهُ الأربعة غير مُصرحٍ بها، **وإنَّ** طرفيه يُلمحان من المعنى، **وإنّ** جملته لا تُبنى على أيّةِ صورةٍ من صور التشبيه التي عرفناها، وغالباً ما يكون **المُشَبَّه به** في التشبيه الضمني برهاناً وتعليلاً **للمُشَبَّه**، أو بمعنى آخر أنّ التشبيه الضمني يُؤتى به ليفيد(أو لإثبات) أنَّ الحُكم الذي أُسْنِدَ إلى المُشَبَّه مُمكنٌ، فضلاً عن الرغبة في إخفاء معالِم التشبيه؛ لأنَّ التشبيه كُلَّما خفي ودقّ كان أبلغ في النفس، وبيان هذا أنَّ الكاتب أو الشاعر قد يلجأ عند التعبير عن بعض أفكاره إلى أسلوبٍ يُوحي بالتشبيه من غير أن يُصَرّح به في صورةٍ من صُورِهِ المعروفة، نحو قول البحتري:

ضَحُوكٌ إلى الأبطالِ وهو يرُوعُهُم ... وللسَّيفِ حَدٌّ حينَ يسطُو وَرَوْنَقُ

نلحظُ هنا أنَّ الشاعر عرض لنا في الشطر الأول صورةً للممدوح رجلاً يلقى الشجعان الصناديد بوجهٍ ضاحكٍ، وخَلْف هذا الوجه الباسم سطوة وبأس يفزع منها الرجال الأبطال ويخشونها، ثم عرض لنا في الشطر الثاني صورةً أخرى هي صورة السيف في لمعانه وبريقه، وهذا الرونق الذي يلمع من حدِّ السيف إشارة إلى قوة قطعه وبتره، فالبحتري لم يقلْ لنا بصريح التعبير أنَّ ممدوحَهُ في ضحكه وبأسه كالسيف في رونقه وشدة قطعه؛ لكننا نلمح هذا المعنى التشبيهي ضمناً، فهذا التشبيه الذي قدَّمه الشاعر بشكل غير مباشر يعكس جمالاً أروع، وبلاغة أعمق؛ لأنَّ التشبيه كلما دقّ وخفي كان أشدَّ لُصوقاً بالنفس، وأبعدَ تأثيراً فيها، وانظر إلى قول أبي تَمَّام أيضاً:

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكريمِ عن الغِنى ... فالسيلُ حَربٌ للمكانِ العالي

ترى هنا أنّ أبا تَمَّام يريد أن يقول لمن يخاطبها: لا تنكري خلوّ الرجل الكريم من الغنى، فإنّ ذلك ليس غريباً؛ لأنّ قمم الجبال-وهي أعلى الأماكن- لا يستقر فيها ماء السيل، فهذا الكلام يوحي بتشبيهٍ ضمنيّ لو صَرَّح به الشاعرُ لقال: إنّ الرجل الكريم قد فاته الغنى بسبب كرمه وتفريقه ما عنده من مالٍ لعلوّ نفسه بحيث أصبح عاطلاً عن المال، فهو يشبه قمم الجبال إذ لا يستقر فيها ماء السيل، أو ماء المطر لعلوّها، أو أنّ المعنى باختصار أكثر: لا تستغربي أن يخلو الكريم من الثراء لأنَّه كقمم الجبال العالية لا يستقر فيها ماء السيول، فـ(**المُشَبَّه**) هو: خلو الممدوح من المال

لكرمه وعلو منزلته، و(**المُشَبَّه به**)هو: خلوّ قمة الجبل من الماء لعلوها، فإنّها لا تُمْسِكُ الماءَ طبيعةً، فالشاعر لم يقل ذلك صراحةً، وإنّما أتى به في جملةٍ مُستقلةٍ، وضمّنها هذا المعنى في صورة برهان على إمكان وقوع ما أسنده إلى المُشَبَّه.

ومثله قول المتنبي أيضاً:

من يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عليه ما لِجُرحٍ بميّتٍ إيلامُ

فالمعنى: إذا كان الإنسان هَيّناً في نفسه فإنَّهُ يسهل عليه احتمال الهوان كالميت الذي لا يتألم بالجرح في جسمه إذا جُرِحَ حال موته، فهذا تلميحٌ بالتشبيه في غير صراحة نستطيع التعبير عنه بقولنا: المشَبَّه هو (**حال المهين في نفسه**)، ثم عاش في أسر الذل والهوان حتى اعتاد عليه، وغدا يتقبل أيَّ هوانٍ جديدٍ برضى (**هذا المهين**) يشبه (**الميت الذي فقد الروح**)، وبسبب فقدانه الروح فقد الإحساس فما عادت تؤثر فيه الجراح، وهذا هو (المشَبَّه به)، ونستطيع أن نعبّر عن هذا التشبيه بتعبير أخصر: المهين لا يؤلمه الهوان لاعتياده عليه كالميت لا يؤثر فيه الجرح، فها هنا تشبيهان: المهان كالميت، وتقبله للهوان كجرح الميت، ولكنّ فضَّ التركيب على هذا النحو يُعَدُّ فضاً للصورة التي رسمها الشاعر، أو إفساداً للمعنى الذي أبدعه في شكل حكمةٍ بليغةٍ، أو مَثَلٍ تداوله الناس ويستعملونه عندما تحصل لهم حادثة مشابهة لمعنى هذا المثل الذي صاغه لنا المتنبي في بيتِ شعرٍ.

ومثله قول أبي العتاهية:

ما بالُ دينِكَ ترضى أن تُدَنِّسَـهُ وأنَّ ثوبَك مغسـولٌ من الدنسِ

ترجو النَّجاةَ ولم تسلك مسالكها إنَّ السـفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

هذا الكلام يتضمّن تشبيهاً في غير تصريح، فالشاعر أراد أن يُشَبَّه حال من يرجو النجاة من عذاب الآخرة ولا يسلك مسالك النجاة-وهذا هو المُشَبَّه- بحال السفينة تحاول الجري على اليبس-وهذا هو المُشَبَّه به- فهاهنا تشبيهان: الأول: الراجي للنجاة من غير أن يسلك طرق النجاة كالسفينة تحاول الجري على اليبس، والثاني: محاولته النجاة من عذاب الآخرة من غير سلوك طرق النجاة كمحاولة السفينة الجري على اليبس.

ومثله قول أبي تمام:

علا فما يستقرُّ المالُ في يَدِهِ وكيفَ تُمْسِكُ مَاءَ قِمَّةُ الجبلِ؟!

ففي هذا الكلام تشبيهان ضمنيّان غير مصرح بهما: الأول: الممدوح-في علوّه وسُموّه- كقمّة الجبل، والثاني: خلوّ يد الممدوح من المال كخلوّ قمّة الجبل من ماء المطر؛ إذ هي لا تمسك الماء خِلْقَةً، فالشاعر هنا لم يضع التشبيهين صراحةً، بل أتى بهما في جملةٍ مستقلةٍ، وضمَّنها هذا المعنى في صورة برهان قائلاً: علت كفّاك وانبسطتا، فانطلق منهما المال كما ينـزل السيل من رأس الجبل، فالتشبيه ضمني.

الفصلُ الثاني- المجاز: (أركانه، وأقسامه)

يُعدُّ المجازُ من الوسائل البَيَانية التي تُساهمُ في إيضاح المعنى عند البلاغيين؛ إذ به يخرجُ المعنى مُتَّصفاً بصفةٍ حِسّيَّةٍ، تكادُ تعرضُه على عَينِ السَّامع، لذا شُغِفَتِ العربُ باستعماله، وأتوا فيه بكلِّ معنىً رائقٍ، وزيَّنوا به خُطَبَهُم وأشعارَهم؛ لميل لُغتهم إلى الاتساع[1] في التَّعبير والدلالة على كثرة معاني الألفاظ الجميلة، فيحصل للنفس به سرور وأريحية، وسنقف-إن شاءَ اللهُ تعالى- على هذا الأسلوب البَيَاني؛ لنرى سببَ ذلك الاعتناء الذي حظي به عند علماء اللغَة والبَيَان، مروراً بمعاني الحقيقة والمجاز اللغوية والبَيَانية.

الحقيقةُ والمجازُ- لُغَةً واصطلاحاً:

الحقيقةُ: الحقيقةُ في الأصلِ وصفٌ على وزن(فعيل) بمعنى: فاعل، مِن: حقَّ الشَّيءُ، أي: ثَبَتَ، أو بمعنى(مفعول) من حققتُهُ، أي: أثبتُّه، فهو مُثْبَتٌ.

واصطلاحاً: ما أُقِـرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة من غير تأويل، كاستعمال(**الأسد**) في الهيكل المخصوص، فلفظُ (**الأسدِ**) موضوعٌ له بالتَّحقيق ولا تأويل فيه، وكذا لفظتي (**البحر، والشمس**)، وهذا مُجملُ القول في الحقيقة، والكلام عليها من مباحث اللغَة لا البلاغة، وإنَّما تطرقنا إليها هنا لأجل أن نوضِّح المجاز المبني عليها؛ لأنَّها النقطة التي انطلق منها المجاز، كما سيأتي بيانُهُ.

المجاز: المجازُ في **اللغَة** مصدرٌ ميميٌّ على وزن(مَفعَل)، من جَازَ المكانَ يجوزُه إذا تعدَّاه، نُقل إلى الكلمة الجائزة، أي: المتعديةِ مكانَهَا الأصليَّ أو المَجوزِ بها، على معنى أنَّهم جازوا بها، وعدَّوها مكانَهَا الأصليَّ، أو(مَفعَل) بمعنى الطَّريقِ، يُقال: جعلتُ كذا مجازاً لحاجتي؛ أي: طريقاً لها؛ لأنَّ المجاز الاصطلاحيَّ طريقٌ للمُبالغة.

أمَّا المعنى **الاصطلاحي** للمجاز فهو ظاهرٌ من المعنى اللغوي له، بالإضافة إلى أنَّه ضِدُّ الحقيقة، إذ هو (**استعمالُ اللفظة المفردة في غير ما وُضِعَتْ له في أصلِ اللغة؛ لعلاقةٍ مع قرينةٍ لفظيةٍ أو حاليةٍ تمنعُ من إرادة المعنى الحقيقي)**، فلفظ(**البحر**)-مثلاً- له معنى مخصوص في اللغة(أصل وضعه)، فلو قلنا: (**زارني بحرٌ فانتفعتُ بعلمهِ**)، لصار استعمال اللفظ هنا في غير محله؛ إذ المعنى الآن: زارني عالمٌ فانتفعتُ بعلمه، والعلاقة الجامعة بين(**العالم والبحر**) هي السعة في كلٍّ منهما، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي لفظة(**زارني**)؛ إذ البحر الحقيقي لا يزور، فاللفظة هنا بهذا التركيب صارتْ مجازيةً عند البلاغيين.

---

[1] أرى تسمية المجاز بلفظ: (**الاتساع**) أقرب من غيرها؛ تجنُّباً للخلاف الحاصل بين أهل العلم، والله-تعالى- أعلم.

أقسام المجاز:

ينقسم المجاز عند البلاغيين إلى قسمين: (**مَجَازٌ لُغَوِيٌّ، ومَجَازٌ عَقلِيٌّ**):

القسم الأوَّل: المجاز اللغوي:

يُعرَّفُ المجاز اللغوي بأنَّهُ: (**اللفظُ المُستعملُ في غيرِ ما وُضِعَ لَهُ، لعلاقةٍ-علاقة مُشَابَهَةٍ أو غير مُشَابَهَة-، مع قرينةٍ-لفظية أو حالية- مانعةٍ من إرادة المعنى الحقيقي**)، وعلى هذا ينقسم المجاز اللغوي إلى قسمين:

١-ما كانت العلاقة بين معنييه-المجازي والحقيقي- علاقة مشابهة، فهو عند علماء البلاغة يُسمى(**الاستعارة**).

٢- ما كانت العلاقة بين معنييه-المجازي والحقيقي- غير المشابهة، يعني نوع صلة أو ملابسة من الملابسات، فهو عندهم يُسمى(**المجاز المُرسَل**).

أ- الاسْتِعَارَةُ:

الاستعارةُ نوعٌ من أنواعِ المجازِ اللغوي، تبدأُ حيثُ ينتهي التَّشبيه؛ إذ مبناها عليه، وتقوم على تناسيه بادعاء أنَّ المُشَبَّه هو المُشَبَّه به نفسه-على ما سيأتي- وكُلَّما أوغلنا في هذا التَّناسي كانت بلاغةُ الاسْتِعَارَة أقوى تأثيراً في السَّامعين، فتعطيهم الكثيرَ من المعاني، حتى يُستخرج من الصَّدفةِ الواحدةِ الدُّرر، ويُجنى من الغُصنِ الواحد أنواع من الثَّمر، لذا عرَّفها السَّكَّاكِيُّ بقوله: (**الاسْتِعَارَةُ** هي: **تشبيهٌ حُذِفَ أحَدُ طرَفيهِ، أي: أنْ تذكر أحدَ طرفي التَّشبيه وتُريد به الطَّرف الآخر، مُدَّعياً دخول المُشَبَّه في جنسِ المُشَبَّه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمُشَبَّه ما يخُصُّ المُشَبَّه به**)، ولها أنواعٌ كثيرةٌ، كان من بينها ما هو قائمٌ على وجود (**المُشَبَّه به**) وعدم وجودهِ، على ما يأتي:

١-الاسْتِعَارَة المَكْنِيَّة: وهي ما **حُذِفَ فيها (المُشبَّه به)، ورُمِزَ لهُ بشيءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ**، ومعنى (**مَكْنِيَّة**): أنَّ المُشَبَّه به مُكَنًّى أو مُغطًّى أو مستور، مثال ذلك أن تقول: (**ليس لِجُودِكَ سَاحِلٌ**)، فهذا التعبيرُ هو استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ مأخوذةٌ من قولهم: (**جُودُك كالبحر**)، وعندما جُعِلَ منه استعارةً مَكْنِيَّةً حُذِفَ المُستعار منه(**المُشَبَّه به**) وهو هنا(**البحر**)، وأُبقي المُستعار له(**المُشَبَّه**) في الكلام وهو هنا(**الجود**).

وفي إجرائها نقول: شُبِّه الجودُ بالبحر، وحُذف المُشَبَّه به(**البحر**)، وأُبقيت في الكلام لازمةٌ من لوازمه تدُلُّ عليهِ وهي لفظة(**الساحل**)، باعتبارها قرينة لفظية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي؛ لأنَّ الجود الحقيقي لا ساحل له، كما أنَّ لفظة(**ساحل**) تُناسِبُ البحر في استعماله الحقيقي، وتشبه الجود في استعماله المجازي، فالاستعارة على ذلك صارت مَكْنِيَّة.

٢-**الاسْتِعَارَة التصريحيَّة:** وهي: **ما صُرِّحَ فيها بلفظ (المُشَبَّه به)**، ومعنى تصريحية: أي أنَّ المُشبَّه به قد ظهر أو صُرِّح به في الكلام وحُذِفَ بدله المُشَبَّه، نحو: (**زارَني بحرٌ فأعجبني حُسْنُ حَدِيثِهِ**)، فأصلُ الكلام: **زارني رجلٌ عالمٌ**-وهو هنا محذوف؛ لأنَّهُ المُشَبَّه-، والمُشَبَّه به(**بحرٌ**) وهو هنا موجود أو مُصرَّحٌ بلفظه، كما أنَّ في الكلام قرينةً لفظيةً تمنعُ من إرادة المعنى الحقيقي وهي لفظة(**زار**)، التي هي لازمة من لوازم المُشَبَّه(**الرجل العالم**)، لأنَّ البحر الحقيقي لا يزور، فالاستعارة هنا تصريحية؛ لأنَّ (**المُشَبَّه به**) موجودٌ في الكلام.

وفي إجرائها نقول: **شُبِّهَ الرجلُ العالمُ بالبحر**، وحذف المُشَبَّه وأُبقيت في الكلام لازمة من لوازمه تدلُّ عليه وهي كلمة(**زار**)، كما أنَّ لفظة(**زار**) تُناسِبُ العالِم في استعماله الحقيقي، وتشبه البحر في استعماله المجازي، فالاستعارة على ذلك صارت تصريحية.

ويندرجُ تحت هذين النوعين من الاستعارة مُسَمَّياتٌ كثيرةٌ، كان من بينها ما يأتي:

١-**الاسْتِعَارَة الأصلية:** وهي **الاستعارة التي تجري في أسماء الأجناس**، كـ(**أسد ورَجُل ونُور وظلمات**....الخ)، وقد سُمِّيت (أصليّة) لأنَّ دخول الاستعارة فيها يكون دخولاً أولياً مباشراً أصلياً.

٢-**الاسْتِعَارَة التبعية:** وهي **الاستعارة التي تجري في الأفعال والمُشتقَّات**-كـ(**اسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المُشبهة، وصيغ المبالغة**)- فالاستعارة تجري في هذه الأفعال والمشتقات بالتبع فلا نُشبه الفعل بالفعل مباشرةً، بل بالتبع عن طريق مصادرها.

وهاك بعض الأمثلة التوضيحية على تلك المسميات(التصريحية والمكْنيَّة، التبعية والأصلية):

من أبلغ وأروع أمثلة الاسْتِعَارَة المَكْنيَّة الجارية في الأسماء(**أصْليَّة**)، ما ورد-على لسان نبيّ الله زكريا-عليه السلام- في قوله-تعالى-: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ [مريم:٤]، فالتَّعبير عن ظهور الشَّيب وانتشاره بالاشتعال، قد أبرز الشَّيبَ في صورةٍ واضحةٍ بَيِّنَةٍ، تجذب المشاعر والوجدان، وتُنَبِّهُ العقول إلى أنَّ انتشار الشَّيب لا يمكن تلافيه ودفعه، كما أنَّ شواظ النَّار لا يُتَلافى، فإذا أجرينا الاستعارة في لفظ(**اشتعل**) قلنا: استعارة **تصريحية تبعية**؛ إذ شُبهتْ سرعة انتشار الشيب في الرأس بالاشتعال، فحُذفَ المُشَبَّه(سرعة الانتشار)، وأُبقيت في الكلام لازمة من لوازمه تدل عليه وهي لفظة(**الرأس**)، واشتق من الاشتعال(**اشتعل**) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وأما إذا أجرينا الاستعارة في لفظة(**الرأس**) فهي **مَكْنِيَّة أصلية**؛ لأننا نقول في إجرائها: **شُبِّهَ الرأسُ بنوعٍ من أنواعِ الوقود**، فحذف المُشَبَّه به وأُبقيت في الكلام لازمةٌ من لوازمه تدلُّ عليهِ وهي لفظة(**اشتعل**)، فالاستعارة مَكْنِيَّةٌ أصليةٌ؛ فقولنا: مَكْنِيَّة لحذف المُشَبَّه به(**الوقود**)، وقولنا: أصلية لإجرائها في الأسماء مباشرةً.